

6

قصص المبشرون بالجنة

رجل السخاء
والعطاء

سلوى العناني



رجل السخاء والعطاء

(عبد الرحمن بن عوف)

دخل النبي عليه السلام (يثرب) مُحاطًا بالترحاب من أهلها - الأوس والخزرج - ومن السابقين من المهاجرين الذين كانوا قد دخلوها قبل وصول النبي .

وكان من الضروري أن يتم تنظيم هذا المجتمع حتى تستقر الحياة .. فكيف يكون حل هؤلاء الذين هاجروا مع النبي تاركين أموالهم وديارهم .. وأحيانا زوجاتهم ؟ كيف تسير حياتهم ؟

وتظهر حكمة النبي عندما آخى بين المهاجرين والأنصار ، فالأنصار مستقرون في مدينتهم .. لهم بيوتهم وزوجاتهم .. لهم زراعتهم ولهم تجارتهم .. عندهم الإبل والأغنام والخيول .. فليقتسم كل مسلم من الأنصار ما عنده

من خيرٍ مع مسلمٍ من المهاجرين .. وهكذا تتوَكَّد الوحدةُ
بين عنصري المجتمعِ الجديدِ ، وتزدادُ الأواصرُ تماسكاً ..
أخى النبيُّ بينَ (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) ، و (سعدِ بنِ
الربيعِ) وكان هذا الأخيرُ من أكثرِ أهلِ يثربَ مالاً ..
فعرض على (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) أن يقاسمَهُ في كلِّ ما
يملكُ ..

قال سعدٌ : أقاسمُك مالى نصفين وأزوّجك . لكن
(ابنِ عوفٍ) شكرهُ واعتذر عن عدم قبولِ عرضِهِ ، وطلب
أن يدلّه على طريقِ السُّوقِ .. وهناك اشترى وباعَ وربحَ
وعاش من عملِ يده ..

فمن هو (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) .

هو واحدٌ من السابقين الأولين إلى الإسلامِ ، فهو أحدُ
الثمانيةِ الأوائلِ الذين آمنوا بمحمدٍ نبيا ورسولاً ، وواحدُ
من الخمسةِ الذين آمنوا على يدِ أبي بكرٍ ، وأحدُ الستةِ

أصحاب الشورى الذين أوكل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تكون الخلافة فيهم من بعده .
عانى (عبد الرحمن بن عوف) من اضطهاد قريش وقسوتها ما عاناه إخوانه المسلمون الأوائل ..

هاجر (ابن عوف) إلى الحبشة مرتين فراراً بدينه .. ولما عاد لازم النبي حتى هاجر معه إلى (يثرب) .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}

[النساء : 100]

لقد اشترى (عبد الرحمن بن عوف) رضا الله ورسوله وباع تجارتَه التي صادرها مشركو قريش .. وبدأ مرة أخرى من الصفر بعد هجرته إلى المدينة ..

توجّه إلى سوق (بن قَيْنُقَاع) وهناك باع واشترى وربح
ثم تزوج من عملٍ يله ..

سأله الرسول ﷺ : "تزوجتَ" قال : "نعم" .. قال
الرسول : "ومن؟" .. قال : "امرأة من الأنصار" .. فسأله
النبيُّ "كم سُقَّت؟" .. أي كم دفعتَ مهرًا؟؟ .

قال : "نواة من ذهب" .. قال النبي : "أولم ولو بشاة" ..
كان (عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ) تاجرًا ماهرًا ، جعله ذكاؤه
يختار الوقتَ والمكانَ المناسبَ دائماً لتجارته .. فقال عنه
البعضُ : إنه إنسانٌ محظوظٌ .. وحتى قال هو عن نفسه :
(لقد رأيتني ، لو رفعتُ حجرًا ، لوجدتُ تحته فضةٌ
وذهبًا) ..

لكنه الذكاء .. والرضا .. والسعيُ الدؤوبُ .. والبعْدُ عن
الاحتكارِ والمضاربة .. والاتّجُه بالعملِ لوجهِ الله عزَّ وجلَّ ..
حكى عنه معاصروه فقالوا :

- "إذا لم يكن ابنُ عوفٍ في المسجدِ يصلّي فهو في غزوةٍ في سبيلِ الله أو تجارةٍ" .

وكانت قوافله تجوب الشامَ ومصرَ واليمنَ ، ثم تعودُ إلى المدينة تحملُ الكساءَ والطعامَ وكلَّ ما يلزمُ حياةَ الناسِ هناك ..

سمع (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) يوما رسولَ الله يقول له :
"يا بنَ عوفٍ إنك من الأغنياءِ ، وإنك ستدخلُ الجنةَ حبوا .. فأقرضُ الله يطلقُ لك قدميكَ" ..

ومن ساعتها .. و (عبدُ الرحمنِ) يسابقُ نفسه في العطاءِ فيجهّزُ الحملاتِ العسكرية ويطعمُ الناسَ ..

لم يكن جشعاً ولا طمأعاً ، بل كان قانعاً راضياً .. إذا ما أعطاهُ الله خيراً وزّعه على أهلِ (بنى زُهرة) وعلى فقراءِ المسلمين .. بل أغنيائهم أيضاً .

باع (ابنُ عوفٍ) يوماً أرضاً وقبض ثمنها أربعين ألف

دينار .. فماذا يفعلُ بهذا المالِ ؟ .

لقد وزَّعه على أهله وعلى فقراء المسلمين ، وعلى
أمهات المؤمنين .

ولما حضره الموتُ أوصى بخمسين ألف دينارٍ فى سبيل
الله ، كما أوصى بأربعمائة دينارٍ لكل من بقى على قيد
الحياة ممن شهدوا موقعة (بدر) - وكانوا مائة - يومها ترحم
عليه على (كرم الله وجهه) وقال :

(اذهب يا بن عوف ، فقد أدركت صفوها وسبقت
زيفها) .

وكان (عثمانُ بنُ عفان) ممن أخذ نصيبه يومها من هبة
(ابنِ عوفٍ) رغم ما عرف عنه من الشراء ..
قال (عثمانُ) يومها :

"إن مال (عبد الرحمن) حلالٌ صفو ، وإن الطعمة منه
عافية وبركة" .

كان عند (عبد الرحمن بن عوف) ثمانية آلاف درهم
فأمسك منها أربعة لنفسه وعياله .. وقدم الباقي لله
ورسوله .. فقال له النبي عليه السلام :

"بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ" .. ثم نزلت
الآية الكريمة تقول :

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا
أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : 267] .

يُروى أن المدينة استيقظت يوماً على قافلة ضخمة تزحم
طرقاتها .. وتهز جنباتها .. ولم يكن لهذه المدينة الهادئة عهد
بمثل هذه القوافل الكبيرة .. وتسأل الناس فيما بينهم
فعرفوا أنها تجارة لعبد الرحمن بن عوف راجعة من الشام ..
وعلمت (عائشة) أم المؤمنين بخبر هذه القافلة فتذكرت
قول رسول الله (يا بن عوف إنك من الأغنياء وإنك ستدخل

الجنة حبوا .. فأقرضُ الله قرضاً حسناً) ...

وردّت أمّ المؤمنين قولَ رسولِ الله فنقل البعضُ حديثَها
إلى (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) فاتجه لفوره إليها، وقال ..

"لقد ذكرتني بقول لم أنسه ..

إنى أشهدك أن هذه القافلة بأحمالها وأقتابها وأحلاسها،
فى سبيل الله عزّ وجلّ" ..

وبرّ الرجلُ بما قل ..

وتم توزيعُ حمولةِ القافلة كلّها على أهلِ المدينةِ وغيرهم
من المسلمين ..

سبعمائةُ بعيرٍ تحملُ من الخيراتِ ما لا يستطيعُ أحدٌ أن
يُحصيه أو يعلّه يقدّمها (ابنُ عوفٍ) فى سبيلِ الله ..

لقد تمنى الصحابىُّ الجليلُ أن يدخلَ الجنةَ عدّوا كما
وعد النبىُّ بذلك غيره من السابقين للإسلام فأقرضَ الله
قرضاً حسناً، وجاد بماله عن طيبِ خاطرٍ ..

نموذجٌ للسخاءِ والعطاءِ ..

نذر (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تجارتَهُ وأرباحَهَا لله .. فأعطى
فى سبيلِ الله وأطعم الفقراء .. تحرَّى الحلالَ وابتعد عن
الشبهاتِ فزادت تجارتُهُ وربت ، وبارك الله له فيها - وكان
فى ماله حقٌّ معلومٌ .. لأهله وإخوانه .

لم يكن ثراءُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ من الأمورِ التى تجلبُ
له السعادةَ أو راحةَ البالِ .. على العكس كان هذا الثراءُ
سبباً فى قلقهِ الدائم .. فقد كان يخشى أن يكونَ هذا الخيرُ
العاجل سبباً فى تأجيلِ خيرِ الآجل .. وهو أحرص على
الأخيرِ حرصه على أغلى ما يتمنى .

يروى عن (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) أنه جلسَ يوماً ليُفطِرَ
بعد صيامٍ ..

فلما قُدِّمَ له الطعامُ بكى وامتنع عن الأكلِ وقال :

"استشهد (مصعبُ بنُ عميرٍ) وهو خيرُ مني فكفّن فى

برقة إن غطت رأسه بدت رجلاه ، وإن غطت رجله بدت
رأسه ..

واستشهد (حمزة) وهو خير مني فلم نجد له ما نكفنه فيه
إلا برقة ..

ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا ،
وإنني لأخشى أن نكون قد عجلت لنا حسناتنا" ..

وكان ابن عوف كثيرا ما يبكي ويقول :

" لقد مات رسول الله عليه السلام وما شبع هو وأهل
بيته من خبز الشعير .. وما أرانا أخرنا لما هو خير لنا" ..

وكان يخشى دائما أن يكون ممن يُقل لهم يوم القيامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاق : 20] .

... هكذا لم ينس (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) الآخرةَ ساعة
ابتسمتُ له الدنيا، بل كان دائمَ الذكرِ ليومٍ لا ينفعُ فيه إلا
العملُ الصالحُ .. زهدَ عن المناصبِ وابتعد عنها حتى لا
تغريه الحياةُ وتنسيه منهجه في الحياة ..

العطاء .. العطاء .. ولأجلِ الله ورسوله ..

لم يكن الجهادُ بالمالِ هو كل جهادِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ
بل كان جهاده بالقتالِ في سبيلِ الله مشهودًا .

في غزوةٍ أُصيبَ ابنُ عوفٍ بعشرين إصابةً تركت
إحداها في ساقه عرجًا دائمًا .. كما سقطتُ إحدى ثنياه
(أسنانه الأمامية) فتركت عيبًا في نطقه ..

وأحسبها أوسمةً تلك التي حملها ابنُ عوفٍ في ساقه وفي
أسنانه ظلت تُشهد العالمَ على عطاءِ هذا الرجلِ
وشجاعته ..

عاش ابنُ عوفٍ حياته قريبًا من النبي عليه السلام فلما

قُبِضَ .. عاش إلى جوار أبي بكر ثم عمر بن الخطاب
واحداً من مستشاريهما وأصحاب الرأي معهما .

وقبل أن ينتقل ابن الخطاب إلى جوار ربه أوصى أن
تكون الخلافة من بعده بين ستة من خيرة صحابة رسول الله
عليه السلام وكان (ابن عوف) واحداً منهم .

واتجهت الأنظار أول ما اتجهت إليه .. إلا أنه قال ..
"والله ، لأن تؤخذ مديّة" ، فتوضع في حلقى ، ثم ينفذ بها
إلى الجانب الآخر أحبُّ إلى من ذلك" .

هكذا رفض (عبد الرحمن بن عوف) أن يتولى إمارة
المؤمنين بعد (عمر بن الخطاب) واعتبرها مسألة قاسية
عليه .. مستبعدة كل الاستبعاد عن تفكيره .. فهو زاهد في
المناصب راغب عن الخلافة .

فلما سمع الإمام (عليه) (كرم الله وجهه) منه هذا الرفض

(*) المديّة : الخنجر الصغير أو المطواة .

قال له : " لقد سمعتُ رسول الله عليه السلامُ يصفُك بأنك
أمينٌ في أهلِ السماءِ ، وأمينٌ في أهلِ الأرضِ " ..
وأصر (ابنُ عوفٍ) على رأيه فأوكل الخمسة الآخرون له
مهمة اختيار الخليفة .

واختار (ابنُ عوفٍ) من بينهم (عثمانَ بنَ عفانٍ) ليكون
خليفةً على المسلمين .. ووافق الجميعُ على رأيه .

في العام الثاني والثلاثين للهجرة .. جاد (عبد الرحمن
بن عوف) بأنفاسه الأخيرة .. صعدتُ رُوحه إلى بارئها وهو
راضٍ عما قدّم للحيلة من جهادٍ بالنفسِ والمالِ .

